أهل المهن والحرف والصنايع في بَغداد في العَصر البويهي

[٣٣٤ـ ٤٤٧هـ/٩٤٥ـ ١٠٥٥م]

تاريخ تسلم البحث: ٢٠١٥/٢/٥م تاريخ قبوله للنشر: ٢٠١٥/٨/٢٢م

فايزة حجازي *

الملخص

يهدف هذا البحث إلى أن يُحقِّقَ في ثناياه عَرْضاً لفئة اجتماعية في مدينة بغداد، هم أهل المهن والحرف والصنايع ضِمْنَ حِقْبَةِ الْعَصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م). لما كان لهذه الفئة من دور في الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في آن واحد.

بداية تناول البحث عملية تنظيمات المهنيين والحرفيين ضمن طوائف اتبعت سلماً مهنياً محدداً وقواعد ملزمة لأهل الصنعة الواحدة، كما تناول البحث دور الحرفيين الاقتصادي والاجتماعي ومدى تأثيره على الاستقرار السياسي في مدينة بغداد.

وَبالمُوجَزِ؛ فَقَدْ كانَ بِتلكَ الْحِقْبَةِ نِتاجاتٌ ثَرَّةٌ لِأَصْحابِ الصَّنايِعِ وأَهْلِ الْحِرَفِ في تَنْميطِ الحياةِ الْمَدَنيَّةِ وَما يَنْبَثِقُ عَنْها مِنْ جوانبَ اقْتِصاديَّةٍ واجْتِماعيَّةٍ وَسياسيَّةٍ، وَقَدْ كَشَفَ الْبَحْثُ عَنْ دورِ تِلْكَ الطَّبَقَةِ أَبانَ الْحُكْمِ البويهي عَبْرَ تِلْكَ الجوانب، فَمِنْها يُذْكَرُ:

- تَعاضُدُهُمْ فيما بينَهُم أَجْلَ الدِّفاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعَنْ مِهَنِهِم وَمَنْتوجاتِهِم.
- تَكَتُّلُهُم كوحدَةٍ واحِدَةٍ لِتَحْديدِ سعْرِ سِلْعَةٍ أو مَنْتوجٍ حِرَفي.
- إخلاء السّوقِ لِأَحَدِ أَفْرادِهِمْ إذا كانَ مُحْتاجاً لِيَسُدَّ حاجَتَهُ.
- مُشارَكة النِّساء في الدّورِ الْمِهَني والْحِرَفي في بَغْداد آنَذاكَ.

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، جامعة اليرموك.

Abstract

This research aims at achieving an objective show about the social and economic role for craftsmen at Baghdad, over Al-Bouayhi period (334-447 H/945-1055).

Briefly, that period has rich outcomes for craftsmen in forming civil life and what is derived from it of economic, social, and political sides, also, this research revealed the role of this class through Al-Bouayhi reign in these sides, such as:

- Their collaboration between each other to defend themselves and their crafts and products.
- Their collaboration as a one unit to determine the price of good or craft product.
- Leaving the market for one of them if he was in need to fill his need.
- Women participation in the craft role at Baghdad in that time.

المقدمة:

التّاريخُ إِرْثٌ إنساني، والبَحث العلمي مُلْكٌ لِمَن يَمْتَلِكُ مَفاتيحه، ولَعَلَّ الحقائقَ في العلوم الإنسانيّة أمور نِسبيَّةٌ، بَل فلسفيَّة معرفيَّة مُحْتملة للتّخالف والتّوافق، لِذلكَ حُقَّ لنا أن نعاودَ الرّجوع إِلى سِفْرِ تاريخ مدينة السّلام (بغداد) أبانَ العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، ونُخصِّصَ الحديثَ في جزئيَّةٍ ليسَت لامِعَة ولا مُتوهِّجَة، ولَها رواسِب وُجود تاريخي، وتِلْكَ هيَ طَبَقَة (أصحاب الْمِهَن والْحِرَف والصّنايع). وبِأَمَلٍ أن تُثْمِرَ دراسَتُنا هذه عَنْ عَرْضٍ إيجابي وَنتائِجَ وافيَةٍ فقَد وُجِّهَ الْبَحْثُ أَنْ يُرْصَدَ عَبرَ سَبيلين، أولاهُما الدّور الاقْتِصادي لِأَصحابِ الْمِهَنِ والْحِرَفِ والصّنايعِ في بغداد في الْعَصْرِ البويهي، وثانيهما الدّور الاجْتماعي للطّبَقَةِ ذاتها ولِلْمَدينَة عينها ولِلْعَصْرِ نَفْسه.

وَنُشيرُ سَلَفاً إِلى أَنَّ لَمْلَمَةَ شَعْثِ الْمُبْدَلاتِ مِن مَظانّها، ليست فكرةً محوريّة في هذا البحث، بحيث نرصد بطيّاته جميع ما نعثر عليه من أمثلة ومعطيات. وتوجّه الْبَحْثِ الْمِحوَري إنّما هوَ صَوْبَ عَرْضٍ مَنْهَجي لِعيِّناتٍ مِنَ التّاريخِ المُوَثَّقِ، بحيث يُمْكِنُنا في ضوئِها طلب الْمَسائِلِ النَّظَريَّةِ حولَ الْمَحاورِ الْمَخْصوصَةِ في إِطارِ الْبَحْثِ هذا.

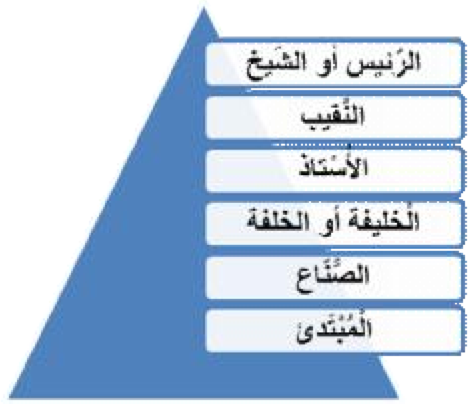
ومن أجل جَلاء الموقف تِجاهَ الحرفيين والمهنيين نُقَرِّبُ الدّعوى للأذهان بما قالَهُ أبو الفضل الدّمشقي: "وَأمّا الصّنائع العمليّة، وهي المِهَن، فقد قيل قديماً: الصّناعة في الكفّ أمان من الفقر وأمان من الغنى. وذلك أنّ الصّانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بدَّ له منه، ولا يكاد كسبه يتّسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمة، وأيضاً فإنّه مع ذلك إذا مُيِّز النّاس دخل في أدوَن طبقاتهم"[(١)]. وَهُنا ثَمَّةَ محورَان نودُّ لَفْتَ الأَنْظارِ إليهما مِنْ هذا القولِ الْمُقْتَضَبِ. الأوّلُ: أَنَّ الْمِهْنَةَ والْحِرْفَةَ والصِّناعَةَ باتَتْ -وَلا زالَت- مُتَّكَئاً يَسْتَنِدُ إليها الآدَميُّ لِدَفْعِ ناموسِ الْفَقْرِ وقوى

الْغنى، والأمرُ الثّاني الَّذي يَتَعيَّنُ علينا الإشارة إليه هوَ أَنَّ الْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ وأَصحابَ الصّنايعِ شَكَّلوا طَبَقَةً دُنيا مُسْتقلَّةً في الْهَرَمِ الاجْتِماعي آنَذاك.

وَممّا يَجدر اسْتِحْضارُهُ وَنَحنُ نُقَدِّمُ هذا الْفَرْشَ لِهذِه الطَّبَقَةِ أَنْ نَلْحَظَ بِتيَقُّظٍ الواقِعَ الاجْتِماعيَّ للمجتمع البَغدادي في العهد البويهي؛ حيثُ إنَّ السُّنَّةَ الاجْتِماعيَّةَ تَقْضي بوجود طبقات وفئات متنوّعة ومتعددة في الْمجتمعِ الواحدِ، الأمر الَّذي قَد يُفضي إلى تَعدُّدِ الْمِهَنِ والْحِرَفِ، وبالتّالي التّباين في الْمَكانة الاجْتماعيّة والأدوار الْمِهَنيَّةِ لأفراد المجتمع، وَهذا ما صَدَقَ حالُه في مجتمعِ دراسَتِنا. يَقولُ أَحَدُ الْمُحْدَثينَ: "والواقع أنَّ الطّبقات الاجْتماعيّة في بَغْداد خَضَعَتْ لِمَعاييرَ مُخْتَلِفَةٍ، منْها ما يُسمَّى اليوم بِالْخَطِّ الْمِهَني (Career) الَّذي يَسْمَحُ لِلْفَرْدِ أَثْناءَ حياتِه العَمَلِيَّةِ بالتَّقَلُّبِ في أدوارٍ مِهَنيَّةٍ مُترابطة تتيح له إحراز تقدير اجتماعي معيّن ومكافآت محددة"[٢].

السُّلَّم المهني لأصحاب المهن والحرف والصنايع:

ما دامَت فكْرَةُ النِّقاشِ حائمة حول طَبَقاتِ الْمجتمع، فَمِنَ الْمُنْصِفِ أن نَعْرِضَ بِإيجازٍ لِلسُّلَّمِ الْمِهَني أوِ الهَرَمِ الْحِرَفي لِأَصحاب الصّنايعِ، إذ هُم يَنْتَظِمونَ سُلَّماً تتابُعيّاً يَنْطَلِقُ مِنَ (رَئيس) أو (شيخ) يُعْنى بالإشْرافِ العام عَلى الصِّناعاتِ والْمِهَنِ والْحِرَفِ في الْمُجْتَمَعِ والأَسواقِ كونُهُ صاحب تَجْربة وإتقان للحرْفَة، ويَأتي بَعْدَهُ (النَّقيب)، ووظيفَتُهُ مُساعَدةُ (الشّيخ)، ويَتبَعه منْ بَعْدُ (الأُستاذ)، وهوَ الَّذي وَصَلَ مُستوىً مُتَقَدِّماً في الْحِرْفَةِ، ويُساعِدُهُ في ذلكَ مَنْ هوَ أدوَنُ منْهُ مَرْتَبَةً، ويُسَمّى (الْخَليفَة) أو (الخلفة)، ويَليهِ (الصُّنّاع) الَّذينَ مارَسوا حِرْفَةً فَأَتْقَنوها وَباتوا بِالْمُسْتَطاعِ فَتْحَ حوانيتَ خاصَّة مُسْتَقِلَّة بِهِم. ويَتَذيَّلُ هذا السُّلَّم (الْمُبْتَدئ) الَّذي انْتَسَبَ إلى الْحِرْفَةِ وَلا يَزالُ في طورِ التَّعَلُّمِ. ولَعَلَّ هذا السُّلَّمَ أنيسٌ بِما حَكاهُ غيرُ واحدٍ منَ الْمُحْدَثينَ، إذْ قيلَ: "لكل حرفة (رئيس) من أعضائها تُعيّنه الحكومة أو تعترف به... وَهُناك الأساتذة، وهم المتقدمون في الحرفة، ويليهم الصُّنّاع، وهم الَّذين أتقنوا الحرفة وبإمكانهم فتح حوانيت خاصة بهم والعمل مستقلين. وأدنى درجة في الحرفة تتمثل في المبتدئين الَّذين ينتسبون إلى الحرفة ولا يَزالون في مرحلة التّعلّم"[٣]. وَعليهِ، يُمْكِنُ رَفْدُ خُطاطَةٍ تُبيِّنُ هذا الْهَرَمَ الْحِرَفي لِأَصْحابِ الصّنايعِ والْمِهَنِ:



الشَّكْل رَقَم (١) يَظْهَرُ فيهِ: الْهَرَمُ الْحِرَفي لِأَصْحابِ الصَّنايعِ والْمِهَنِ.

وفي ظلِّ هذا السُّلَّم الهَرَمي لِلْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ ليسَ مُسْتَبْعَداً أن يكونَ لِهذا السُّلَّمِ تَنْظيمٌ خاصٌّ وَقَواعِدَ مُلْزِمَةٌ لِأَهْلِ الصَّنْعَةِ الواحِدَةِ أو ذاتِ التَّنْظيمِ الْمُشْتَرَك؛ "إذ يَعتمِدُ المُحْتَسِبُ عَلى الْعُرْفِ السّائِدِ بينَ أهل الأصناف[٤]، في معرفته لجودة الصّنعة وإتقانها، والطُّرق الواجب اتّباعها في عَمَل تلك الصّنعة، وتَحْليل وتحريم ما يجب أن يقوم بِهِ أهل المِهَن"[٥]. وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَمَثَّلَتْ أهمّ وظائِفِ الصّنف بِأمورٍ عِدَّة، منْها: "الاهتمام بمعرفة أسرار الصّنعة، وإتقان الصّنعة وجودة المصنوعات، والاهتمام بمصالح أعضاء الصّنف، والعناية بالمواد الأوّليّة، والعناية بالنَّظافة"[٦].

وَقَبْلَ أَنْ نَلِجَ إلى مَتْنِ الْبَحْثِ تَبْقى الإشارَةُ ضَرورَةً مُلِحَّةً إلى الْعَهْدِ الْبويهي؛ إذْ هوَ مِنَ الْعُهود الْمُهِمَّة في التّاريخِ الْإسْلامي عامَّة، وَتاريخِ الْعِراقِ بِصورَةٍ خاصَّة؛ فالبويهيونَ أضحوا عنصراً فارسيّاً جَديداً، طارِئاً عَلى المجتمع الإسلامي[٧]، واسْتَطاعوا مِنْ بَعْدُ أَنْ يمسكوا بِزِمامِ الْأُمورِ بَعْدَ اسْتيلائِهِم عَلى الْعِراقِ، ممّا حَذا بِهِم -مِن طريقٍ مُباشر أو غير مُباشر- التّأثير في سيرِ الْحضارة الإسلاميَّة. وَعلى أيّة حال، فالتّأثير الّذي سَنقفُ عِنْدَهُ هوَ تأثير أصحاب المِهَن والْحِرَف والصّنايع من حيث الوِجْهَتينِ (الاقْتِصاديَّة والاجْتماعيَّة).

الدّورُ الاقْتِصادي لِلْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ وأَصحابِ الصّنايعِ

بَغْداد مِصْرُ الإسْلامِ، وَبِها مَدينَةُ السَّلامِ، احْتَضَنَت غيرَ طائِفَةٍ مِنَ الطَّبَقات، وإيماناً مِنْها بدورِ الصِّناعات والْحِرَفِ والْمِهَنِ في تَقَدُّمِ الاقْتِصادِ الوَطَني واعْتِبارِها مورِداً أَساس من موارِدِ الثَّروَةِ الاقْتِصاديَّة للدّولَة، فَقَدْ شَرَعَ القائِمونَ على الدّولَة في تَنْظيمِ وإدارَةِ الْمَراكِزِ الْحِرَفِيَّةِ والْمِهَنِيَّةِ فيها، الأمر الَّذي مِنْ شأنه أن يُثْمِرَ توازُناً اقتصادياً يَحْفَظُ للدّولَة هيبَتها السّياسيَّة

والاجْتِماعيَّةِ وَغيرِهما[٨]. وَممّا لا مِراءَ فيهِ أَنَّ أَرْضَ العِراقِ بِعامَّةٍ وبَغْداد بِخاصَّةٍ كانَتْ مَهْداً للحَضارَةِ الصِّناعيَّةِ، وموئلاً للمِهَنيَّةِ والْحِرَفيَّةِ، وَهذا يُسْتَشَفُّ مِن قولِ الْمَقْدِسي(ت٩٩٠هـ)، حيثُ يَقولُ فيها: "وَبِمَدينَةِ السَّلامِ الطّرائف وألوان ثياب القز وغير ذلِكَ... وَمِنْ خَصائِصِهم بنفسج الكوفة وأزاذها[٩]، ومحكم[١٠] بغداد وطرائفها"[١١].

وَمِنَ الْجَديرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الْعِراقَ في الْعَهْدِ البويهي احْتَضَنَت عِدَّةَ صِناعات، حيثُ عَمِلَ عضد الدّولَةِ سوقاً للبزّازينَ، ووَقَفَ عَليها أوقافاً كَثيرَةً، كَما اشْتُهِرَت بِصِناعَةِ الأرحاء (الطّواحين)، حَتّى بَلَغَ الْأَمْرُ بِعَضد الدّولَةِ أَنْ عُهِدَ لَهُ أرحاء كَثيرة بالزّبيديّة بِالْقُرْبِ مِنْ نَهْرِ عيسى[١٢]. وَأُثِرَ عَنْ عضد الدّولَةِ أيضاً أَنَّهُ اهْتَمَّ بالصّاغَةِ وَفُنونها، وبَلَغَ مِنْهُ أَنْ أَمَرَ بِصِناعَةِ مائِدَةِ طَعامٍ لَهُ مِنَ الذَّهَبِ بِحَوافٍ مُكَلَّلَةٍ لا قيمَةَ لها وَلا قَدراً يُعْرَف[١٣]، وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هذا الْحَدِّ، فَقَد وَصَلَ اهْتِمامُ عضد الدّولَةِ إلى صِناعَةِ النَّسيجِ والصّابونِ والأسْلِحَةِ والثَّلْجِ وَمَساقِلِ الخيولِ والسُّفُنِ والسّتورِ والخيامِ والسِّجّاد وماءِ الوَرْدِ وَغيرِ ذلِكَ كَثير[١٤].

وَمَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَموضوعِ الْبَحْثِ هذا يَقودُ إلى التَّفْكيرِ في دورِ الْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ وأصحابِ الصَّنايعِ في الشَّأْنِ الاقْتِصادي، إذْ يَلْمَحُ الْمَرْءُ أَثْناءَ قِراءَتِهِ في المُصنَّفاتِ والمُدَوَّناتِ التّاريخيَّةِ عِباراتٍ تُجَسِّدُ أدواراً مُخْتَلِفَةً عَلى الصَّعيدِ الاقْتِصادي في الْعَهْدِ البويهي لِتِلْكَ الطَّبَقَةِ، فَثَمَّةَ رابطة قويّة تَجْمَعُ بينَ أَهْلِ الصِّناعَةِ الواحِدَةِ والصِّناعات الْمُتَعَدِّدَة، وَمدى اتِّصالِهم الوَثيق فيما بينَهُم، حَتّى باتَ مِنْ أَقوالِهم الْمَأْثورَة: "الصِّناعَةُ نَسَبٌ"[١٥]. وَعَليه، فَمِنَ المُتوقَّعِ بَعْدَ هذا الاتِّصالِ الوَثيقِ والقولِ الْمَأْثورِ أَنْ نَجِدَ تَماسُكاً حِرَفيّاً وَكِياناً مِهَنيّاً بينَ أَصحابِ الصَّنايِعِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلا مَشاحَةَ أَنَّ التَّكَتُّلَ هذا بينَ الصُّنّاعِ حَذا بِهِمْ إلى أَنْ يَكونوا ذا موقِفٍ قويٍّ مَتينٍ تِجاهَ أي مُعْضِلَةٍ. وَلِلتَّدْليلِ عَلى صِحَّةِ ذلِكَ أَمْكَنَنا سَوْق نَماذِجَ تُؤَكِّدُ هذا الطَّرْحَ، مِنْها نَذْكُرُ:

- ذاكَ التَّكَتُّل الَّذي حَصَلَ بينَ أَرْبابِ الْحِرْفَةِ الواحِدَةِ دِفاعاً عَنِ الْمُشْتَغِلينَ بِمِهْنَتِهِمْ، وَذلِكَ نَحوَ الْفِتْنَةِ الَّتي وَقَعَتْ بينَ أَصْحابِ الْأَكيسَةِ وَأَصْحابِ الْخلعات في الْكَرْخِ سَنَةَ ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م[١٦].
- دُخولَ العيارين ليلاً عَلى أَحَدِ البزازين سَنَةَ ٤٢٣هـ/١٠٣١م، وَأَخَذوا مالَهُ، "فَتَعَصَّبَ لَهُ أَهْلُ سوقِه وَرَدَّ العيارونَ بَعْضَ ما أَخَذوا"[١٧].
- ما أُثِرَ عَنْ شيخٍ حَجّامٍ أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَأْخُذَ أَجْرَةَ حِجامَتِهِ مِنْ رَجُلٍ يَمْتَهِنُ مِهْنَتَهُ، وَسَبَبُ ذلِكَ كامِنٌ في صَراحَةِ قولِ الْحَجّامِ: "نَحْنُ أَهْلُ صِناعَةٍ واحِدَةٍ... وَما كانَ اللهُ لِيَراني وَأَنا آخُذُ مِنْ أَهْلِ صِناعَتي أُجْرَةً أَبَداً"[١٨].

- تَعاوُنَ أَفْرادِ الصِّنْفِ الواحِدِ فيما بينَهُمْ، ويَظْهَرُ ذلِكَ مِنْ إخْلاءِ السّوقِ لِأَحَدِ أَفْرادِهِمْ إذا كانَ مُحْتاجاً ليَسُدَّ بِهِ خلتهُ. حيثُ ذَكَرَ الْجاحِظُ (ت٢٥٥ه): "أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْقَصّابينَ يَكونُ في سوقِهِ، فَيَتْلَفُ ما في يَدِه، فيُخْلي لَهُ الْقَصّابونَ سوقَهُمْ يوماً، ويَجْعَلونَ لَهُ أَرْباحَهُم، فيَكونُ بِرِبْحِها مُنْفَرِداً، وبالبيعِ مُفْرداً، فيَسُدّونَ بِذلِكَ خَلَّتَهُ ويَجْبُرونَ مِنْهُ كَسْرَهُ"(١٩).
- تَعاوُنَ أَفْرادِ الصِّنْفِ الواحِدِ كَذلِكَ إخْلاءِ السّوقِ ممّا يُنْتِجونَهُ ويَبيعونَهُ، فيَرْفَعونَ أيديهِمْ عَنِ الْأَعْمالِ حَتّى تَضيقَ أَحوالُ النّاسِ ويَضطَّرّوهُم إلى الْإِذْعانِ لِما يُريدونَ(٢٠).
- تواطئ أَبْناءِ الصَّنْعَةِ الواحِدَةِ فيما بينَهُمْ عَلى تَحْديدِ سِعْرٍ واحِدٍ، وَأَنيسُ ذلِكَ ما فَعَلَهُ القَصّابونَ والخَشّابونَ في الاتِّفاقِ عَلى سِعْرٍ يَبيعونَ فيه(٢١).
- ما أَشارَت إليه الْمَصادِرُ في التَّعاوُنِ بينَ أَبْناءِ الْأَصْنافِ الْمُخْتَلِفَة، فَقَدِ اتَّفَقَ الشّوّاؤونَ عَلى شِراءِ الرُّؤوسِ الْكاسِدَةِ مِنَ الرّواسينَ وَبيعِها مَعَ الشّواءِ بِسِعْرِه(٢٢). ووَصَلَ بِهِم حَدُّ الاتِّفاقِ إلى السَّرِقَةِ وَأَخْذِ هَدِيَّةٍ أو رَشْوَةٍ لِقاءَ كِتْمانِ عَدَمِ اكْتِمالِ الْعَمَلِ عَلى أَتَمِّهِ، وَفي هذا يُخْبِرُنا ابْنُ بَسّام عَنْ اتِّفاقٍ بينَ الجَبّاسينَ والْبَنّائينَ بِكِتْمانِ قِلَّةِ نُضوجِ الْجبسِ لِقاءَ أَخْذِ هديَّةٍ أو رَشوَةٍ(٢٣).

وَخَشيَةَ وُقوعِ الْفِتْنَةِ، وَلِأَجْلِ تَجَنُّبِ تَذَمُّرِ النّاسِ وَشَكواهم مِنْ ضَريبَةِ الْمِلْحِ الَّتي كانَتْ سائِدَةً في الأَسواقِ الْبَغْداديَّة، فَقَدْ عَمِلَ أَبو طاهِرٍ جَلال الدّولَةِ عَلى إلْغاءِ الضَّريبَةِ سَنَةَ ٤٣٥هـ. وَفي هذا يَقولُ ابنُ الجوزي (ت٥٩٧هـ): "وَفي هذا الأوانِ خاطَبَ الدّينوري الزّاهد الْمَلِك في إزالَةِ ضَرائِبِ الْمِلْحِ، وَأَعْلَمَهُ ما يَتَطَرَّقُ عَلى النّاسِ مِنَ الْأَذى بِذلِكَ، فَأَمَرَ بِذلِكَ وَكَتَبَ بِهِ مَنْشور وَقُرِئَ في الجوامِعِ، وَكُتِبَ عَلى أَبوابِها بِلَعْنِ مَنْ يَتَعَرَّض لِإِعادَةِ هذه الْجِبايَةِ"(٢٤).

وَفي أوقاتِ الْأَزَماتِ وَقَفَ أَفْرادُ الْأَصْنافِ ضِدَّ السُّلْطَةِ لِحِمايَةِ أَنْفُسِهِم مِنَ التَّعَسُّفِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذلك ثورة صُنّاع المنسوجات القطنية الحريريّة في بغداد سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م عندما جدَّد صمصام الدّولة بن عضد الدّولة ٣٧٣هـ- ٣٧٧هـ/٩٨٢م- ٩٨٧م على الثّياب الإبرسيم والقطن ضريبة مقدارها عُشْر الثَّمن، فاجْتَمَعَ النّاسُ في جامِعِ الْمَنْصورِ وَعَزَموا عَلى قَطْعِ الصَّلاةِ، وَكادَ الْبَلَدُ يُفْتَن فَأُعفوا مِنْ ذلِكَ(٢٥).

وَفي عام ٣٨٩هـ/٩٩٩م أُعيدَ فَرْضِ الضَّريبَةِ عينها، فَثاروا مِنْ جَديد، وَقَصَدوا الْمَسْجِدَ الْجامِعَ، وَمَنَعوا الْخُطْبَةَ والصَّلاةَ، واسْتَمَرَّ هياجُهُم أَرْبَعةَ أَيّامٍ دونَ جَدوى، وَلَمْ تَتَراجَع السُّلُطاتُ

عَنْ هذهِ الضَّريبَةِ، وَتَمَّ قَمْعُ الْفِتْنَةِ بِشِدَّةٍ، واسْتَمَرّوا بِأداءِ هذهِ الضَّريبَةِ حَتّى عامِ ٤٠١هـ/١٠١٠م عَلى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ رِضاهِم عَنْها، إلّا أَنَّها أُلْغِيَتْ في أواخِرِ عَهْدِ عَميدِ الْجيوشِ أَبي علي نائِبِ بَهاءِ الدّولَةِ بن عَضد الدّولَةِ ٣٧٩-٤٠٣هـ/ ٩٨٩هـ- ١٠١٢م(٢٦).

وَنَظيرُ ذلِكَ نَجِدُ سَنَةَ ٤٢١هـ/١٠٣٠م اقْتِتالاً وَقَعَ بينَ جَماعاتٍ مِنَ الصُّنّاعِ مَعَ الْجُنْدِ التُّركي في الْكَرْخِ دِفاعاً عَنْ أَنْفُسِهِمْ، ولَعَلَّ السَّبَبَ الَّذي فَرَضَ وُقوعَ هذا الاقْتِتالِ تِلْكَ الضَّرائِبُ الَّتي فُرِضَتْ عَلى مَقالي الباذنجان وَسوقِ الدَّقيقِ وسميريات المَشارِعِ، وَدَلالَةِ ما يُباع مِنَ الأَمْتِعَةِ، وَأَجْرِ الحَمّالينَ الَّذين يَرْفَعونَ التُّمورَ إلى السُّفُن(٢٧).

وَمِنْ صوَرِ تَماسُكِ أَبْناءِ الصِّنْفِ الواحِدِ فيما بينهم ذاكَ القِتالِ الَّذي وَقَعَ بينَ "أَصْحابِ الطَّعامِ وبينَ أَهْلِ الْمَربعةِ والبَزّازينَ، فَظَهَرَ أَصْحابُ الطَّعامِ عَليهم أوَّلَ النَّهارِ. فانْضَمَّ الأَساكِفَةُ إلى أَهْلِ الْمَربعةِ والبَزّازينَ فاسْتَظْهَروا بِهِمْ وَقَهَروا أَصْحابَ الطَّعامِ، وَهَزَموهُمْ وَأَحْرَقوا أَسواقَهُم، وَتَتابَعَت الْفِتْنَةُ بَعْدَ هذه الْحادثَة. واجْتَرَأَ أَهْلُ الشَّرِّ وَتَعاقَدَ أَصْحاب الخلقان والأساكِفَة عَلى أَصْحابِ الطَّعامِ واقْتَتَلوا قِتالاً شَديداً دامَ بينَهُم. ثُمَّ ظَفر أَصْحابُ الطَّعامِ فَهَزَموا الأَساكِفَة وَمَنْ مَعَهُمْ وَأَحْرَقوا سوقَهُم وَقَتَلوا مِنْهُم"(٢٨).

واسْتَمَرَّ دورُ الصُّنّاعِ في الدِّفاعِ عَنْ مِهَنِهِم في حالِ فُرِضَتْ ضَرائِبُ جَديدَة عَلى مَنْتوجاتِهِم وأَعْمالِهِم، وكَذا الْأَمْر مُلاقٍ حَتْفَهُ بِدِفاعِ الْمِهَنيّينَ والْحِرَفيّينَ عَنْ أَنْفُسِهِم وَمَصالِحِهِم إذا ما تَطاوَلَتْ أَيادي الْجُنْدِ في الاعْتِداءِ عَليهِم. وَفي مَعْرِضِ هذا الْكَلامِ يُمْكِنُ أَنْ نَعْرِضَ لِإيماءَةٍ تُؤَكِّدُ هذا الطَّرْحَ حَدَثَتْ سَنَةَ ٣٦٢هـ/٩٧٣م، حيثُ احْتَرَقَ الْكَرْخُ حَريقاً عَظيماً، وكانَ السَّبَبُ الْقائِمُ وَراءَ ذلِكَ هوَ أَنَّ صاحِبَ الْمَعونَة قَتَلَ عامِيّاً، الأمر الَّذي وَلَّدَ هَيَجاناً ضِدَّهُ مِنْ قِبَلِ الْعامَّة والْأَتْراكِ لِيَثوروا به، فَهَرَبَ صاحِبُ الْمَعونَةِ وَدَخَلَ دارَ بَعْضِ الْأَتْراكِ، فَأُخْرِجَ مِنْها مَسْحوباً وَقُتِلَ وَأُحْرِقَ، ممّا أَلْجَأَ الْوَزيرَ أَبا الْفَضْلِ لِأَخْذِ الْجناةِ وَإِرْسالِ حاجِبٍ في جَمْعٍ لِقِتالِ الْعامَّةِ بِالْكَرْخِ، فاحْتَرَقَ حَريقاً عَظيماً. وَنَظَراً لِما سيقَ حولَ حادثَةِ حَريقِ الْكَرْخِ فَمِنَ الْبَديهي أَنَّ النَّتائِجَ كانَتْ أَليمَةً في ظِلِّ ما شَهِدَهُ مِنْ تَخْريبٍ وَتَدْميرٍ، حيثُ أَسْفَرَ ذاكَ الْحَريقُ عَنْ إبادَةٍ لِمَوارِدَ بَشَرِيَّةٍ كَثيرَةٍ آنَذاكَ، فَحُرِقَ سَبْعَة عَشر أَلْفَ إِنْسانٍ، وَثَلاثُمئة دُكّان، وكَثير مِنَ الدّورِ والعِمْرانِ، وَثَلاثَة وَثَلاثينَ مَسْجِداً، وَمِن الْأَموالِ ما لا يُحْصى(٢٩).

وَتَحْفَلُ الْمُدوَّناتُ التّاريخيَّةُ كَذلِكَ بِحادِثَةٍ أُخْرى يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَعِيَ مِنْ خِلالِها دورَ الْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ في الاسْتِقْرارِ السّياسي والاقتصادي والاجْتِماعي في آنٍ؛ فَفي سَنَةِ ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م "كَثُرَ تَسَلُّطُ الْأَتْراكِ بِبَغْداد، وَأَكْثَروا مُصادَراتِ النّاسِ وَأَخَذوا الْأَموالَ، حَتّى أَنَّهُم قَسَّطوا

عَلى الْكَرْخِ خاصّة مئَة أَلْف دينار، فَعَظُمَ الْخَطْبُ وَزادَ الشَّرُّ، وَأُحْرِقَتِ الْمَنازِلُ والدُّروبُ والْأَسواقُ، وَدَخَلَ في الطّمعِ العامَّةُ والعيارون، فَكانوا يَدْخُلونَ عَلى الرَّجُلِ فيُطالبونَهُ بِذَخائِرِهِ كَما يَفْعَلُ السُّلْطانُ بِمَنْ يُصادِرُهُ، فَعَمَلَ النّاسُ الْأَبوابَ عَلى الدُّروبِ فَلَمْ تُغْنِ شيئاً، ووَقَعَتِ الْحَرْبُ بينَ الْجُنْدِ والْعامَّةِ فَظَفِرَ الْجُنْدُ وَنَهَبوا الْكَرْخَ وَغيرِهِ، فَأُخِذَ مِنْهُ مالٌ جَليلٌ، وَهَلَكَ أَهْلُ السّترِ والْخيرِ"[٣٠].

ويَظْهَرُ في بَعْضِ الْأَحيانِ أَنَّ لِلْمُصادَماتِ الَّتي حَدَثَتْ بينَ الْحِرَفيينِ أَنْفُسِهِم -فَتَحوَّلَتْ إِلى نزاعاتٍ طائِفيَّةٍ- كانَ لَها الدّورُ الْفَعّالُ أيضاً في التّوجيهِ الاقْتِصادي والاجْتِماعي وَقْتَذاكَ؛ فَفي سَنَة ٤٠٦هـ/١٠١٥م "وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْداد بينَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَبينَ أَهْلِ بابِ الشَّعيرِ، وَنَهَبوا الْقَلّائينَ، فَأَنْكَرَ الْوَزيرُ فَخْرُ الدّولَةِ -وزيرُ سُلْطانِ الدّولَةِ بن بَهاءِ الدّولَة ٤٠٣-٤١١هـ/١٠١٢- ١٠٢٠م- عَلى أَهْلِ الْكَرْخِ، وَمُنِعوا مِنَ النّوحِ يومَ عاشوراء وَمِنْ تَعْليقِ الْمسوحِ"[٣١].

وَفي سَنَة ٤٢٢هـ/١٠٣١م حَدَثَتْ فِتْنَةٌ في بَغْداد بينَ السُّنيَّةِ والشّيعَةِ، وَكانَ السَّبَبُ الْقائِمُ وَراءَ ذلكَ أَنَّ شَخْصاً أَظْهَرَ الْعَزْمَ عَلى الْغُزاةِ، واسْتَأْذَنَ الْخَليفَةَ الْقائِمَ بِأَمْرِ الله ٤٢٢- ٤٦٧هـ/ ١٠٣١- ١٠٧٥م، فَأَذِنَ لَهُ، وَكَتَبَ لَهُ مَنْشوراً مِنْ دارِ الْخِلافَةِ، وَأُعْطِيَ علماً، فاجْتَمَعَ لَهُ لَفيفٌ كَثيرٌ، فَسارَ واجْتازَ بِبابِ الشَّعيرِ، وَطافَ الْحَراني وَبينَ يَديهِ الرِّجالُ بالسِّلاحِ، فَصاحوا بِذِكْرِ أَبي بَكْرٍ وَعمر رَضيَ اللهُ عَنْهُما، وَقالوا: (هذا يوم معاوي)، فَنافَرَهُمْ أَهْلُ الْكَرْخِ وَرَموهُمْ وَثارَتِ الْفِتْنَةُ، وَنُهِبَتْ دورُ اليَهودِ؛ لِأَنَّهُمْ قيلَ عَنْهُمْ: (إِنَّهُمْ أَعانوا أَهْلَ الْكَرْخِ). وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ ذلِكَ، فَقَدْ شَهِدَ اليوم التّالي رَدَّ فِعْلٍ مَلْحوظاً، حيثُ اجْتَمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْجانبينِ وَمَعَهُمْ كَثير مِنَ الْأَتْراكِ، وَقَصَدوا الْكَرْخَ، فَأَحْرَقوا وَهَدَموا الْأَسواقَ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ جَماعَةٌ، وَطالَ أَمْرُ الْفِتْنَةِ لِإِحْراقِ وَتَخْريبِ سوقِ الْعَروسِ، وَسوقِ الصفارين، وَسوقِ الْأَنْماطِ، وَسوقِ الدَّقاقينَ وَغيرِها. وَبَلَغَ الْأَمْرُ ذرْوَةً في التَّأَزُّمِ، فَقَتَلَ الْعامَّةُ صاحِبَ الْمَعونَةِ وَأَحْرَقوهُ، ووَقَعَ الْقِتالُ في أَصْقاعِ الْبِلادِ مِنْ جانبيهِ، واقْتَتَلَ أَهْلُ الْكَرْخِ، وَنَهْرِ طابقٍ، والْقَلّائينَ، وَبابِ الْبَصْرَةِ، وَفي الْجانِبِ الشَّرْقي أَهْلُ سوقِ الثّلاثاءِ، وَسوقِ يحيى، وَبابِ الطّاقِ، والْأَساكِفَةِ، والرَّهادرَةِ، وَدَربِ سُليمان. وَقُطِعَ الْجِسْرُ لِيُفَرِّقَ الْفَريقينِ، وَدَخَلَ العيارونَ الْبَلَدَ، وَكَثُرَ النَّهْبُ والسَّلْبُ[٣٢].

وَشَهِدَتْ سَنَةَ ٤٤١هـ/١٠٤٩م مَنْعَ أَهْلِ الْكَرْخِ مِنَ النّوحِ وَفِعْلِ ما جَرَتْ عادَتُهُمْ بِفِعْلِه يومَ عاشوراء، فَلَمْ يَقْبَلوا وَفَعَلوا ذلِكَ، فَجَرى بينَهُمْ وَبينَ السّنيَّةِ فِتْنَةٌ عَظيمَةٌ قُتِلَ فيها وَجُرِحَ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ، وَلَمْ يَنْفَصِلِ الشَّرُّ بينَهُمْ حَتّى عَبَرَ الْأَتْراكُ وَضَرَبوا خيامَهُم عِنْدَهُمْ، فَكَفّوا حينَئِذٍ. ثُمَّ

شَرَعَ أَهْلُ الْكَرْخِ في بناءِ سورٍ عَلى الْكَرْخِ، فَلَمّا رآهُم السّنيَّةُ منَ الْقَلّائينَ وَمَنْ يَجْري مَجْراهُمْ، شَرَعوا في بناءِ سورٍ عَلى سوقِ الْقَلّائينَ، وَأَخْرَجَتِ الطّائفَتانِ في الْعِمارَةِ مالاً جَليلاً، وَجَرَتْ بينَهُما فتَنٌ كَثيرَةٌ، وَبَطُلَتِ الْأَسواقُ، وَزادَ الشَّرُّ. وَمِنْ ثَمَّ جَرَتْ مُصالَحَةُ الْحالِ بينَ الطَّرَفينِ، وَكَفِّ الشَّرِّ، فاجْتَمَعَ السّنيَّةُ والشّيعَةُ عَلى الْمَنْعِ منْهُ، وَأَذَّنوا في الْقَلّائينَ وَغيرها بـِـ(حيَّ عَلى خيرِ الْعَمَلِ)، وَأَذَّنوا في الْكَرْخِ بـِـ(الصَّلاةُ خيرٌ منَ النّومِ)، وَأَظْهَروا التَّرَحُّمَ عَلى الصَّحابَةِ(٣٣).

وَبِجانبِ الْمُعْطياتِ الَّتي أَشَرْنا إِليها سالفاً، نَجِدُ كَذلِكَ أَنَّ الْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ عَبَّروا في بَعْضِ الْأَحيانِ عَنْ رَأيِهِمْ تِجاهَ تَصَرُّفِ بَعْضِ السَّلاطينِ، فَفي سَنَةِ ٤٢٩هــ/١٠٣٧م ثارَ الْحِرَفيّونَ ضِدَّ الْمَلِكِ الْبويهي جَلالِ الدّولَةِ بن بَهاءِ الدّولَةِ ٤١٦- ٤٣٥هــ/١٠٢٥- ١٠٤٣م أَجْلَ التَّعْبيرِ عَنْ رَفْضِهِم قَرارَ الْمَلِكِ عنْدَما أَرادَ إِضافَةَ لَقَبِ (مَلِكِ الْمُلوكِ) إِلى اسْمِهِ، ممّا دَعا أولئكَ الْحِرَفيّينَ إِلى رَمي خَطيبِ الْمَنْبَرِ الَّذي أَعْلَنَ ذلِكَ بالآجرِ(٣٤).

وَتَأْسيساً عَلى قوَّةِ الْجانبِ الاقْتِصادي، وَإِيماناً بِمَدى تَأْثيرِهِ في الْجانبينِ السّياسي والاجْتِماعي، فَقَدْ تَمَكَّنَ عَضد الدّولَةِ منْ دُخولِ بَغْداد سَنَةَ ٣٦٨هــ كَأَميرٍ عَلى الْمَدينَةِ وسيِّدِ الْبِلادِ، وَرَأى أَهْلَها قَدْ هَلَكوا قَتْلاً وَحَرْقاً وَجوعاً لِلْفِتَنِ الْمُتَلاحقَةِ الَّتي نَزَلَتْ بها، فَعَمِلَ عَلى وَقْفِ الْفِتَنِ الْمَذْهَبيَّةِ، وَأَمَرَ بِعِمارَةِ بَغْداد وَأَسواقِها وَمَساجِدِها، وَأَدَرَّ الْأَموالَ عَلى الْأَئمَّةِ والمُؤَذِّنينَ والْعُلَماءِ وَغيرِهِمْ، وَأَعادَ حَفْرَ الْأَنْهارِ وَبِناءَ الْجُسورِ، وَأَطْلَقَ مَكوسَ الحجّاج، وَأَصْلَحَ الطَّريقَ منَ الْعِراقِ إِلى مَكَّةَ، وَأَجْرى مُصالَحَةً بينَ الْعامَّةِ(٣٥).

الدّورُ الاجتماعي لِلْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ وأصحابِ الصّنايِعِ:

تَعَدَّدَتْ مَظاهِرُ الْحياةِ الاجْتِماعيَّةِ لَدى الْعِراقيّينَ عُموماً، والْبَغْداديّينَ خُصوصاً، وَتَعَلَّقَ النّاسُ بِها لِكونِها ذات صِلَةٍ بِمُمارَساتِهِم الحياتيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ نَحوَ: الأفراحِ والْأَتْراحِ، والْأَعيادِ، والمواسِمِ الدّينيَّةِ، وَتَقاليدِ الْخِطْبَةِ والزّواجِ، وَغيرِها منَ الْأَعْرافِ الاجتِماعيَّةِ. "وَقَدْ تَجَلّى الاهْتِمامُ بِالْخَدَماتِ الاجْتِماعيَّةِ في عَهْدِ عَضد الدّولَةِ البويهي سَنَةَ ٣٧٢هــ، فَأَمَرَ بِبناءِ البيمارستان الرَّئيسي في بَغْداد، وَخَصَّصَ لَهُ أوقافاً كَثيرَةً، وَزَوَّدَهُ بالآلات والأدويَةِ، وَرَتَّبَ فيهِ الأطبّاءَ والوُكَلاءَ والخُزّان، وَنَقَلَ إِليهِ كُلّ ما يُحْتاج"(٣٦). وَتَوافُقاً مَعَ موضوعِ الْبَحْثِ فَإِنَّ سيْرَ الطَّرْحِ ههُنا سيَحْظى بِتِلْكَ الاسْتِنْتاجاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَدوارِ الاجْتِماعيَّةِ لِلْحِرَفيّينَ وَالْمِهَنيّينَ وَأَصْحابِ الصَّنايِعِ في بَغْداد أَبانَ الْعَصْرِ البويهي.

ويُمْكِنُ الْمَرْءُ أَنْ يَتَّخذَ منَ الرّوايات التّاريخيَّة الْكَثيرَة الّتي سيقَتْ في مَعْرِض الْحَديث عَن الْعَصْر البويهي دَليلاً عَلى صحَّة القول بِأَنَّ الْحِرَفيّينَ وَالْمِهَنيّينَ شَكَّلوا دوراً فَعّالاً في تَنْميَة مَحاورِ الحياة الاجْتماعيَّة والاقْتِصاديَّة آنَذاكَ، فَمِنْ تِلْكَ الْمَحاورِ تَقاليدُ الْأَصْناف وَأَصْحاب الصَّنائِع في الحياة الْمَدَنيَّة، وَذَلكَ مِنْ خِلال مُشارَكَتِهِمْ في الْمُناسَبات الْعامَّة بِصِفَتِهِم الْمِهَنيَّة عَبْرَ مواكِبَ يُظْهِرونَ مِنْ خِلالها مَنْتوجاتِهِم وَحِرَفِهِمْ وَصِناعاتِهِم الَّتي أَتْقَنوها وَانمازوا فيها. فالصِّناعَةُ الْمَعْروضَةُ فَخْرٌ وَمَزيَّةٌ لِلْمِهَنيّينَ والْحِرَفيّينَ عَبْرَ الْأَسواقِ عامَّة والمواكِبِ خاصَّة(٣٧).

ويُمْكِنُنا أَنْ نَسْتَنْتِجَ بِسُهولَةٍ مِنْ تِلْكَ الرِّوايَة أَهميَّةَ الْأَصْناف في الْحياة الاجْتماعيَّة والاقْتِصاديَّة عَلى حَدٍّ سواء، فَمِنْ حيثُ الْوِجْهَةُ الاجْتماعيَّةُ يَتَمَثَّلُ دورُ الْحِرَفيّينَ في الانْخراطِ في الحياة الْمَدَنيَّة، وَمُشارَكَتِهِم فيها بِشَكْلٍ فَعّال، حَتى باتَ أَمْرُ صِناعَتِهِم مَرْكونٌ تَحْتَ أَلْقابٍ عِدَّة وَشِعاراتٍ خاصَّة يَنْمازُ كُلٌّ مِنْهُمْ فيها ويَرْمِزُ لِصِناعاتِهِم، وَمِنْ تِلْكَ الشِّعارات: (الأَرحاء) للطَّحانينَ، و(السَّفينَة) لِلْمَلّاحين، و(التَّنّور) لِلْخَبّازينَ، و(الْبِئْر) لِلْحاكَة، و(الْمَداسات) لِلْأَساكِفَة(٣٨). أَمّا مِنْ حيثُ الْوِجْهَةُ الاقْتِصاديَّةُ، فَمَرَدُّها ماثِلٌ في الرّيعِ المالي الَّذي يَجْنيه أَصْحابُ الصّنائِعِ والأَصْناف مِنْ تَلْقاءِ عَرْضِهِمْ تِلْكَ الْحِرَفِ والصِّناعاتِ في الأسواقِ والمواكِبِ وَبيعِها.

وَفي مُقابِلِ ذلِكَ، نَلْمَحُ مُشارَكاتٍ اجْتماعيَّةً وَدينيَّةً خاصَّةً لِأَهْلِ الْأَصْناف، فالصِّفَةُ الْجاريَةُ كانَتْ في مُشارَكَتِهِمْ في يومِ (عاشوراء)، وَهوَ الْعاشِرُ مِنْ مُحَرَّم، مَقْتَلُ الْحُسينِ ﷺ وَصَحْبه الْكِرام، لِتُغْلَقَ الْأَسواقُ في هذا اليومِ، ويُعَطَّلُ الْبيعُ، فَلا يَذْبَحِ الْجَزّارونَ، وَلا يَطْبُخِ الْهَرّاسونَ، وَتُغْلَقُ الْمسوح، وَتَخْرُجُ النِّساءُ مُنْتَشِراتِ الشُّعورِ مُسودّاتِ الْوُجوه يَلْطُمْنَ في الشَّوارِعِ ويَنْحبنَ عَلى الْحُسينِ ﷺ(٣٩). وَمِمّا يُؤَكِّدُ هذا الطَّرْحَ أَنَّ هذِهِ العادَةَ لا تَزالُ بَعْضُ آثارِها جاريَةً حَتّى أَيّامِ الْعِراقِ هذِهِ، حيثُ تُغْلَقُ الْحوانيتُ الخاصَّةُ بالبيعِ وَغيرِها، ويُشارِكُ أَرْبابُ الْمِهَنِ وَالْحِرَفِ في مواكِبِ الْعَزاءِ وَإِظْهارِ التَّفَجُّعِ والْحُزْنِ.

وَمِنْ تِلْكَ الْمُشارَكات الاجْتماعيَّة ذات الطّابِعِ الدّيني، والَّتي يُشارِكُ فيها الْعامَّةُ وَأَرْبابُ الْحِرَفِ، الزّينَةُ الَّتي يُظْهِرُها أَهْلُ الْأَسواقِ في الثّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذي الْحِجَّة مِنْ كُلِّ سَنَة، لِتَفْتَحَ الْأَسواقُ أَبْوابَها مِنْ كُلِّ صوبٍ وَحينٍ، ليلاً نَهاراً، فَرَحاً واحْتِفاءً بِعيدِ (غَدير خم)، وَهوَ اليومُ الَّذي يُعْتَقَدُ فيهِ مِنْ قِبَلِ الشّيعَة أَنَّ الرَّسولَ الْأَكْرَمَ مُحَمَّداً ﷺ بايَعَ الْإِمامَ عَليّاً ﷺ بِالْخِلافَة(٤٠).

وَأَيّاً يَكُنْ، فَقَدْ أَظْهَرُ السُّنَّةُ سَنَةَ ٣٨٨هـ احْتِفالينِ مُقابِلَ (يومِ عاشوراء) وَ(عيدِ الْغَدير)، فَذَهَبوا إِلى أَنَّ اليومَ الثّامِنَ مِن يومِ الْغَديرِ كانَ يومَ الْغارِ، حيثُ النَّبي ﷺ وَمَعَهُ أَبو بَكْرٍ

ﷺ، وَجَعَلوا بِإِزاءِ عاشوراء يوماً بَعْدَهُ بِثَمانيَةِ أيّامٍ نَسَبوهُ إلى مَقْتَلِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبيرِ ﷺ، وَزاروا قَبْرَهُ بِمَسْكَنٍ كَما يُزارُ قَبْرُ الْحُسينِ ﷺ. الْأَمْر الَّذي وَلَّدَ تَناحُراً مَذْهَبيّاً إلى أَنْ تَصَدّى (أَحْداث الشّيعَةِ) إلى عُمّالِ النَّسيجِ الَّذينَ تَحَرَّكوا ضِدَّ وَضْعِ الرُّسومِ عَلى مَنْسوجاتِهِم سَنَةَ ٣٨٩هـ[٤١].

وَفي سَنَة ٣٩٢هـ/١٠٠١م قامَ أَصْحابُ الْأَصْناف بِتَزيينِ الْأَسواقِ، وَنَصْبِ الْقِبابِ بِمُناسَبَةِ وُصولِ عَميدِ الْجيوشِ، أَبي علي بن أبي جَعْفَر نائب بَهاء الدّولَة بن عَضد الدّولَة (٣٧٩-٤٠٣هـ/٩٨٩-١٠١٢م) إلى بَغْداد، احْتِفاءً بِقُدومِهِ وَتَعْبيراً عَنْ فَرْحَتِهِمْ بِوُصولِهِ، حيثُ أَقامَ مِنْ بَعْدُ السّياسَةَ، فَأَمِنَ النّاسُ، وَمُنِعَ الْفَسادُ، بَعْدَ أَنِ اخْتَلَّتِ الْأَحوالُ واشْتَدَّ الْفَسادُ وَقُتِلَتِ النُّفوسُ وَنُهِبَتِ الْأَموالُ وَأُحْرِقَتِ الْمَساكِنُ[٤٢].

وَإِلى جانِبِ تِلْكَ الْمُشارَكاتِ الاجْتِماعيَّة ذاتِ الطّابِعِ الْعَقائدي، كانَ لِأَصْحابِ الصُّنوفِ الْمُتَعَدِّدَة مُشارَكات في المُناسَباتِ الْحياتيَّة الْمُحْزِنَة، فَقَدْ جاءَ في الْأَثَرِ أَنَّهُمْ كانوا يُغْلقونَ دَكاكينَهُمْ عِنْدَ وَفاةِ أَحَدِ الْأَشْخاصِ الْمَشْهورينَ في الْمُجْتَمَع[٤٣]، لِيَتَوقَّفَ البيعُ، وَتُغْلَقُ الْأَسواقُ، ويَفْرُغُ كُلٌّ مِنْهُمْ في تَأْديَةِ واجِبِهِ الاجْتِماعي مِنْ نَحوٍ، والْعَقائدي مِنْ نَحوٍ ثانٍ.

وَمِنْ مُنْطَلَقِ الْحَديثِ هذا، تُسْتَتْبَعُ إِشارَةٌ أُخْرى، حيثُ شارَكَ أَرْبابُ الْحِرَفِ وَالْمِهَنِ في جَميعِ الْأَعيادِ الرَّسْميَّة والْمُناسَباتِ الاجْتِماعيَّة لِكونِهِمْ يَنْتَمونَ إلى سُلَّمِ التَّنْظيمِ الْحياتي الاجْتِماعي الْمُتَمَثِّل بِعِدَّة طَوائفَ وَجِنْسيّات مُخْتَلِفَة. وكانَ مِنْ بينِ تِلْكَ الْمُشارَكاتِ أَداءُ فَريضَةِ الْجُمُعَة، حيثُ تُعَدُّ عيداً مُقَدَّساً وَعامّاً لِجَميعِ أَطيافِ الْمُجْتَمَعِ في بَغْداد، فيَجْتَمِع النّاسُ مِنْ كُلِّ الطَّبَقاتِ لِأَداءِ تِلْكَ الْفَريضَة[٤٤].

وَبِمُكْنَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَعْثُرَ عَلى مَحاوِرَ أُخْرى تُجَسِّدُ أدواراً مُتَعَدِّدَةً عَلى الصَّعيدِ الاجْتِماعي لَدى فِئَةِ الصُّنّاعِ وَأَرْبابِ الْحِرَفِ والْمِهَنِ، حيثُ أُثِرَ أَنَّ بَعْضَ الدّكاكينِ والدُّروبِ كانَتْ مؤئِلاً وَمُسْتَقَرّاً لاجْتِماعِهِمْ وَقَضاءِ أوقاتِ الْفَراغِ والتَّسْليَةِ والتّباحُث في شُؤونِ مِهْنَتِهِمْ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْحاكَةَ يَجْتَمِعونَ في بيتِ أَحَدِهِمْ لِلْمُسامَرَةِ والتَّسْليَةِ والْمُناقَشَةِ في أُمورٍ مُتَنوِّعَة. ويَذْكُرُ أَبو نوّاسٍ أَنَّ أَحَدَ الْحاكَةِ دَعاهُ يوماً إلى مَنْزِلِهِ، فوَجَدَ عِنْدَهُ مُسامَرَةَ عَشاءٍ لِعَدَدٍ مِنَ الْحاكَةِ[٤٥].

وَمِمّا يُذْكَرُ في هذا الصَّدَد ما وَرَدَ مِنْ أَنَّ بَعْضَ حوانيت وَدَكاكين ذوي الْمِهَنِ والْحِرَفِ كانَتْ أيضاً مَكاناً يُتَّخَذُ لِعَقْدِ الاجْتِماعات، فَفي زَمَنِ الْمُعتَضد ذُكِرَ أَنَّ طائفَةً مِنَ النّاسِ يَجْتَمِعونَ بِبابِ الطّاقِ، ويَجْلِسونَ في دُكّانِ شيخٍ تَبّانٍ، ويَخوضونَ في الْفُنونِ والْأَراجيفِ وَفُنونٍ مِنَ الْأَحاديث[٤٦].

وَممّا يَنْبَغي التّنبّه إليه أَنّ البويهيّينَ أَفْسَحوا الْمَجالَ للنِّساء لِلْمُشاركَةِ في مَناحي الحياةِ الْمُتَعَدِّدَة، فَشارَكْنَ في إدارَةِ بَعْضِ الْأَعْمالِ التِّجاريَّة، كالبيعِ في الدَّكاكين، وَمِهْنَةِ الْخَطِّ والْكِتابَةِ الَّتي اشْتُهِرَتْ بها صُنُوفُ النِّساءِ آنَذاكَ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتِ الْكِتابَةُ عَلى الْمَلابِسِ والْمَناديلِ وَسيلَةً مِنْ وَسائِلِ الزّينَة، فَباتَتِ الْمِهْنَةُ حاجَةً ضَرورَةً في الْمَطْلَبِ الحياتي لِتِلْكَ النِّساء، فاخْتَصَّتْ بِالْجواري دونَ الْحَرائِر[٤٧]. ويُشارُ في هذا السّياقِ إلى أَنَّ الصّولي (ت٣٦٦هـ) رَصَدَ كَثيراً مِنْ أَسْماءِ النِّساءِ اللّواتي اسْتَحْسَنَ خَطَّهُنَّ[٤٨].

وَبِإزاءِ ما سيقَ، فَقَدْ كانَ لِلْمَرْأَةِ دورٌ بَنّاء عَلى عدَّةِ أَصْعِدَةٍ حياتيَّة مُخْتَلِفَة، نَحوَ تَدْريسِ الْبَناتِ وَتَثْقيفِهِنَّ وَتَعْليمِهِنَّ الْقِراءَةَ والْموسيقى والآدابِ وَغيرِها[٤٩]، وكَذَلِكَ اشْتِغالِهِنَّ بِالْحِجامَة[٥٠]، وقابلاتٍ أو غاسلاتٍ لِلْموتى، أو خبّازات، أو حِراسَةِ الْحَمّامات[٥١]. إضافَةً إلى أَنَّ بَعْضَ الْمِهَنِ اخْتَصَّتْ بها الْجواري دونَ الْحَرائِر، فاحْتَرَفْنَ الْغِناءَ والرَّقْصَ أَجْلَ التَّكَسُّبِ وَسَدِّ قوتِ يومِهِنَّ، حَتّى بَلَغَ الْأَمْرُ أَنْ فَرَضَ عَضد الدّولَةِ بن ركنِ الدّولَةِ (٣٦٧- ٣٧٣هـ/٩٧٨-٩٨٢م) ضَرائِبَ عَلى هذه الْمِهْنَة[٥٢].

وَمُؤَدّى الْكَلامِ بَعْدَ ما سَلَفَ كُلّه، أَنَّ فاعليَّةَ وَإِنْتاجَ هؤلاءِ الْحِرَفيّينَ والْمِهَنيّينَ تُعْتَبَرُ رَكيزَةً مِنْ رَكائِزِ النُّهوضِ الاقْتِصادي، وَمَورِداً هامّاً من مواردِ الثّروَةِ كَكُل. وَقَدْ أَسْلَفْنا الذِّكْرَ حولَ موقفِ الْمُلوكِ الْبويهيّينَ تجاهَ أَهْلِ الْأَصْنافِ حينَما راعوا خاطِرَ أَصْحابِ الْمِهَنِ والصَّنائِعِ الْمُتَعَدِّدَة، فَأَلْغوا الضّرائِبَ تارَةً، وَعَمِلوا عَلى تَخْفيضِها تاراتٍ أُخْرى، وكُلُّ ذلِكَ أَجْلَ الْحِفاظِ عَلى اسْتِمْراريَّةِ الْإِنْتاجِ وَعَدَمِ تَعْطيله.

والْحَقُّ إنْ نَحْنُ رُحْنا نَتَأَمَّلُ الْأَمْرَ مَلِيّاً، يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَنْتِجَ ما بَلَغَتْهُ الصِّناعاتُ والْأَصْنافُ مِنْ شَأْنٍ رَفيعٍ واهْتِمامٍ عالٍ مِنَ قِبَلِ الْمُلوكِ وَذوي السُّلْطَة، فَمِنْ ذلكَ يُذْكَرُ أَنَّ عضد الدّولَةِ بن ركن الدّولَةِ (٣٦٧-٣٧٣هـ/٩٧٨-٩٨٢م) أَضْفى طابِعاً خاصّاً عِنْدَما أَشارَ عَلى الصُّنّاعِ بِزَخْرَفَةِ الْمَنْتوجاتِ الزُّجاجيَّةِ عَنْ طَريقِ الْحَفْرِ، والضَّغْطِ عَلى أَشْكالِ الحيوانات، وَخصَّ بِذلِكَ شَكْلَ الْفيلَةِ الَّتي اسْتَخْدَمَها في حُروبِه وَاعْتَبَرَها أَساسَ قوَّتِهِ وانْتِصاراتِه[٥٣]. كَما بَلَغَ اهْتِمامُ الْمُلوكِ بِعَدَدٍ مِنَ الصِّناعات، مِنْها: الشّموع، والعَقاقير الطّبِّيَّة، وَالْجُلود، والوَرَق، والصّاغَة، والصّابون والدّهون والْعُطور، وَصِناعة الْأَخْشاب، والسّيوف، والخَزَف الْبَغْدادي، والْأَواني والْأَقْداح الزُّجاجيَّة، والخيام والحصر البغداديّة[٥٤].

وَصَفْوَةُ الْقولِ وَخاتِمَةُ الْبَحْث، أَنَّ أَصْحابَ الْمِهَنِ والْحِرَفِ وَأَهْلِ الْأَصْنافِ والصَّنايِعِ كانَ لَهُمْ أَثَرٌ فَعّالٌ في توجيهِ الحياةِ الْمَدَنيَّةِ في العَصْرِ البويهي، ولَعِبوا دَوراً هامّاً في الفاعِليَّةِ

الاقْتِصاديَّةِ والاجتِماعيَّةِ في مَدينَةِ بَغْداد، وَساهَموا بقَدْرٍ عالٍ في مُؤَشِّرِ التّوازُنِ السّياسي والأَمْني لِلْبِلادِ. وَثَبُتَ أيضاً أَنَّ الْحِرَفيّينَ كانوا عَلى وَعيٍ في الْمُحافَظَةِ عَلى أَصالَةِ السِّلَعِ والْمِهَنِ والْحِرَفِ الَّتي ارْتَبَطِ اسْمُها بِبَغْداد. وَلا يُمْكِنُ إغْفالُ دورِ الْمَرْأَةِ الاقْتِصادي والاجْتِماعي في الْعَصْرِ البويهي مِنَ النّاحيَةِ الْحِرَفيَّةِ والْمِهَنيَّةِ آنَذاكَ.

ثَبَتُ الْمَصادِرِ والْمَراجِعِ:

- ابن الأثير، عزّ الدّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التّاريخ، راجعه وصحّحه: محمّد يوسف الدّقاق، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ابن الأخوة، محمّد بن محمّد بن أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، عنى بنقله وتصحيحه: روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٩٣٧م.
- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد (ت٣٤١هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م.
- ابن بسّام، محمّد بن أحمد المحتسب، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة: وهو مُرْفَقٌ في (كتاب السّياسة أو الإشارة تدبير الإمارة للمرادي)، تحقيق: محمّد حسن وأحمد فريد، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- البغدادي، الإمام الحافظ أحمد بن علي أبو بكر الخطيب (ت٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السّلام وأخبار مُحدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواردیها، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان.
- البيهقي، إبراهيم بن محمّد (ت٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت- لبنان، ١٩٧٠م.
- التّوحيدي، أبو حيّان علي بن محمّد بن العبّاس (ت٤١٤هـ)، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمّد حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد (ت٤٣٠هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار النّهضة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، ط٤، ١٩٧٥م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.
- ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، عناية: عبد القادر المغربي، مطبعة التّوفيق، دمشق، ١٩٣٥م.
- ابن الجوزي، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي، مناقب بغداد، تصحيح وتعليق: محمّد بهجة البغدادي، دار السّلام، بغداد، ١٣٤٢هـ.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- الدّمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي، الإشارة إلى محاسن التّجارة ومعرفة الأعراض ورديئها وغشوش المدلّسين فيها، دار ألف باء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرّابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٥م.
- الدّوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العبّاسيّة المتأخّرة، مطبعة السّريان، بغداد، ١٩٤٥م.
- ابن الزّبير، القاضي الرّشيد، كتاب الذّخائر والتُّحف، حقّقه: محمّد حميد الله، قَدّم له وراجعه: صلاح الدّين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٤م.
- الزّبيدي، محمّد حسين، العراق في العصر البويهي: التّنظيمات السّياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥م-١٠٥٨م)، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، ١٩٦٩م.
- سعد، فهمي عبد الرزّاق، العامّة في بغداد في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.

- الشيخلي، صباح إبراهيم سعيد، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، منشورات وزارة الإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، ١٩٧٦م.
- الشّيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت٥٩٠هـ)، كتاب نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة: السّيّد الباز العريني، دار الثّقافة، بيروت- لبنان.
- الصّابئ، هلال بن محسن بن أبي إسحاق (ت٤٤٨هـ)، كتاب التّاريخ، عِنايَة: آمدروز، مرجيليوث، ١٩١٩م.
- الصولي، أبو بكر محمّد بن يحيى (ت٣٦٦هـ)، أدب الكتاب، عني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمّد بهجة الأثري، المطبعة السّلفيّة، مصر - القاهرة، ١٣٤١هـ.
- العقباني، محمّد بن أحمد بن قاسم (ت٨٧١هـ)، تحفة النّاظر وغنية الذّاكر في حفظ الشّعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوني، مطبعة المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٧م.
- عمر، فاروق، الجذور التّاريخيّة للوزارة العباسيّة، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
- الغزالي، الإمام أبو حامد محمّد بن أحمد (ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدّين، القاهرة، د. ت.
- القدحات، محمّد عبد الله أحمد، الحياة الاجتماعيّة في بغداد في العصر العبّاسي الأخير، دار البشير، عمّان، ٢٠٠٥م.
- ابن قيّم الجوزيّة، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن بكر (ت٧٥١هـ)، أخبار النّساء، تحقيق: نزار رضا، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنّهاية، حقّقه ودقّق أصوله وَعلّق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، تجارِب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

- المقدسي، محمّد بن أحمد (ت٩٩٠هـ)، رحلة المقدسي: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، حرّرها وقدّم لها: شاكر لعيبي، دار السويدي للنّشر والتّوزيع، أبو ظبي- الإمارات العربيّة المتّحدة، ط١، ٢٠٠٣م.
- الهمذاني، أبو الفضل محمّد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطّبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت- لبنان، ١٩٥٨م.
- الوشّاء، أبو الطّيّب محمّد بن إسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ)، الموشّى أو الظّرف والظُّرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، ط٢، ١٩٥٣م.

الرّسائل الْجامِعيَّة

- الزّواهرة، عمر خلف عبد المحسن، ٢٠١١م، العراق خلال عهد عضد الدّولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م)، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة آل البيت، المفرق.

الهوامش:

(١) الدّمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي، الإشارة إلى محاسن التّجارة ومعرفة الأعراض ورديئها وغشوش المدلّسين فيها، دار ألف باء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص٩٤. ويُنْظَر: الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرّابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٥م، ص٨٨.

(٢) سعد، فهمي عبد الرزّاق، العامّة في بغداد في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٥٨.

(٣) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرّابع الهجري، ص١٠٧-١٠٨. ويُنْظَرُ: الشيخلي، صباح إبراهيم سعيد، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، منشورات وزارة الإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، ١٩٧٦م، ص ١٠٨- ١١٥.

(٤) أهل الأصناف: أي أهل الصّناعات.

(٥) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، ص١٠١.

(٦) يُنْظَر: الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، ص١٠١- ١٠٦. ويُنْظَر: ابن الأخوة، محمّد بن محمّد بن أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، عنى بنقله وتصحيحه: روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٩٣٧م، ص ٢١٩- ٢٢٢.

(٧) يُنْظَر: عمر، فاروق، الجذور التّاريخيّة للوزارة العباسيّة، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م، ص١٩٦- ١٩٧.

(٨) يُنْظَر في تَفصيل ذلِكَ (السّياسة الماليّة للبويهيين في العراق) عِنْدَ: الدّوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العبّاسيّة المتأخّرة، مطبعة السّريان، بغداد، ١٩٤٥م، ص٢٦٠- ٢٧٨.

(٩) الآزاذ أو الآزاد: نوع من أجود أنواع التّمور.

(١٠) محكم بغداد: هو في الغالب البلور الَّذي يسمّى اليوم الكريستال.

(١١) المقدسي، محمّد بن أحمد (ت٩٩٠هـ)، رحلة المقدسي: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، حرّرها وقدّم لها: شاكر لعيبي، دار السويدي للنّشر والتّوزيع، أبو ظبي- الإمارات العربيّة المتّحدة، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٣٤.

(١٢) يُنْظَر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ج١٤/ ص ٢٩٢.

(١٣) يُنْظَر: ابن الزّبير، القاضي الرّشيد، كتاب الذّخائر والتُّحف، حقّقه: محمّد حميد الله، قَدّم له وراجعه: صلاح الدّين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٤م، ص ١٩٥.

(١٤) يُنْظَر في تَفْصيلِ ذلِكَ: الزّواهرة، عمر خلف عبد المحسن، ٢٠١١م، العراق خلال عهد عضد الدّولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م)، رسالة ماجستير، كليّة الآداب، جامعة آل البيت، المفرق، ص١١٤- ١١٧. والدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرّابع الهجري، ص١١٥- ١٣٢. والزّبيدي، محمّد حسين، العراق في العصر البويهي: التّنظيمات السّياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة (٣٣٤-٤٤٧ه/٩٤٥م- ١٠٥٨م)، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٣٩- ١٥٣.

(١٥) القدحات، محمّد عبد الله أحمد، الحياة الاجتماعيّة في بغداد في العصر العبّاسي الأخير، دار البشير، عمّان، ٢٠٠٥م، ص ١٦٨.

(١٦) يُنْظَر: ابن الأثير، عزّ الدّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التّاريخ، راجعه وصحّحه: محمّد يوسف الدّقاق، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ج ٨/ ص٢٠٠.

(١٧) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥/ ص٢٢٣.

(١٨) الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ج١/ ص ١٦٩.

(١٩) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م، ج٢/ ص٢٠٠- ٢٠١.

(٢٠) يُنْظَرُ: العقباني، محمّد بن أحمد بن قاسم (ت٨٧١ه)، تحفة النّاظر وغنية الذّاكر في حفظ الشّعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوني، مطبعة المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٧م، ص١٣٥.

(٢١) يُنْظَر: الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، ص ١٣٤. وابن بسّام، محمّد بن أحمد المحتسب، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة: وهو مُرْفَقٌ في (كتاب السّياسة أو الإشارة تدبير الإمارة للمرادي)، تحقيق: محمّد حسن وأحمد فريد، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص٣١٩.

(٢٢) يُنْظَر: ابن بسّام، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، ص٣١٩- ٣٢٠.

(٢٣) يُنْظَر: الشّيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت٥٩٠هـ)، كتاب نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة: السّيّد الباز العريني، دار الثّقافة، بيروت- لبنان، ص٣١.

(٢٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥/ ص٢٤٠.

(٢٥) يُنْظَر: مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ج٦/ص٥٤. وابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٧/ ص٤٢٥. ويُنْظَر: سعد، العامّة في بغداد في القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، ص٣١٧.

(٢٦) يُنْظَر: الصّابئ، هلال بن محسن بن أبي إسحاق (ت٤٤٨هـ)، كتاب التّاريخ، عِنايَة: آمدروز، مرجيليوث، ١٩١٩م، ج٨/ ص٣٣٦.

(٢٧) يُنْظَر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٥/ ص٢٠٤.

(٢٨) ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٧/ ص٥٧ .

(٢٩) يُنْظَر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٧/ ص٣٣٦.

(٣٠) ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٨/ ص١٥٦.

(٣١) ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٨/ ص٩٣.

(٣٢) يُنْظَر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٨/ ص١٩٩- ٢٠٠.

(٣٣) يُنْظَر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٨/ ص٢٩٢.

(٣٤) يُنْظَر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥/ - ٢٦٥.

(٣٥) يُنْظَر: ابن الأثير، الكامل في التّاريخ، ج٧/ ص٣٨٧.

(٣٦) الزّبيدي، العراق في العصر البويهي: التّنظيمات السّياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥م- ١٠٥٨م)، ص٢٦٣.

(٣٧) يُنْظَرُ: الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، ص١٢٧.

(٣٨) يُنْظَرُ: ابن الجوزي، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي، مناقب بغداد، تصحيح وتعليق: محمّد بهجة البغدادي، دار السّلام، بغداد، ١٣٤٢هـ، ص ١٧. والشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، ص ١٢٩.

(٣٩) يُنْظَرُ: الهمذاني، أبو الفضل محمّد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطّبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت- لبنان، ١٩٥٨م، ص١٨٣.

(٤٠) يُنْظَرُ: الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطوّرها، ص١٦٠.

(٤١) يُنْظَر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥/ ص١٤- ١٥.

(٤٢) يُنْظَر: الصّابئ، كتاب التّاريخ، ج٨/ ص ٤٣٨.

(٤٣) يُنْظَر: الغزالي، الإمام أبو حامد محمّد بن أحمد (ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدّين، القاهرة، د. ت، ج١/ ص١٤١.

(٤٤) يُنْظَر: البغدادي، الإمام الحافظ أحمد بن علي أبو بكر الخطيب (ت٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السّلام وأخبار مُحدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواردِيها، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ج١/ ص١٠٨.

(٤٥) يُنْظَر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، البداية والنّهاية، حقّقه ودقّق أصوله وَعلّق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج١٠/ ص٢٥٠.

(٤٦) يُنْظَر: التّوحيدي، أبو حيّان علي بن محمّد بن العبّاس (ت٤١٤هـ)، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمّد حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ج١/ ص ٤٢٩.

(٤٧) يُنْظَر: الوشّاء، أبو الطّيّب محمّد بن إسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ)، الموشّى أو الظّرف والظُّرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، ط٢، ١٩٥٣م، ص ٢١٩، ٢٢٢، ٢٤٣.

(٤٨) يُنْظَر: الصولي، أبو بكر محمّد بن يحيى (ت٣٦٦هـ)، أدب الكتاب، عني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمّد بهجة الأثري، المطبعة السّلفيّة، مصر- القاهرة، ١٣٤١هـ، ص٥٠.

(٤٩) يُنْظَر: ابن قيّم الجوزيّة، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن بكر (ت٧٥١هـ)، أخبار النّساء، تحقيق: نزار رضا، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م، ص١١٧.

(٥٠) يُنْظَر: البيهقي، إبراهيم بن محمّد (ت٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت- لبنان، ١٩٧٠م، ص١٤٨.

(٥١) يُنْظَر: ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، عناية: عبد القادر المغربي، مطبعة التّوفيق، دمشق، ١٩٣٥م، ص١٤٧.

(٥٢) يُنْظَر: الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، ط٤، ١٩٧٥م، ج٣/ ص٩٦.

(٥٣) يُنْظَر: مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٢/ ص٣٦٨.

(٥٤) يُنْظَر: الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد (ت٣٤١هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م، ص٦٣. والثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد (ت٤٣٠هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار النّهضة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٩٣. وابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٩٣.